صيام
التطوّع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ

.. قبل نقل النصِّ التالي بحرفيّته من كتاب : محطات في سبيل الحكمة .. نقول : نحن لا ننكر الصيام التطوعي ، في أيٍّ من الأيام الفضيلة ، أبداً ، بل نصوم ذلك ولله الحمد منذ صغرنا نحن وأهلنا ..... الغرض من عرض هذا النص ، هو تبيان تناقض الروايات فيما بينها ، كردٍّ على الذين يعتقدون أنَّها بمستوى أحكام كتاب الله تعالى ، ويتاجرون بها – أبشع تجارة – على حساب كتاب الله تعالى ..

المهندس عدنان الرفاعي

.. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (١٨٦٣) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ **كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُهُ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ**

.. وفق هذه الرواية نرى أنَّ النبيّ ﷺ كان يصومُ يومَ عاشوراء قبلَ أن يُفرَضَ صيامُ رمضان ، فلمّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ .. هكذا يُفْهَم من هذه الرواية دون أن نُضيفَ إليها تأويلاً من جيوبنا .. وهذا ما نفهمه أيضاً من الرواية التالية :

البخاري (١٧٥٩) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ **صَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تُرِكَ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَا يَصُومُهُ إِلَّا أَنْ يُوَافِقَ صَوْمَهُ**

.. بعد فهمنا هذا ، وهو أنَّ صيامَ يومِ عاشوراء مسألةٌ يعلمُها النبيُّ ﷺ قبل قدومِه المدينة ، وأنّه كان يُمارسُ هذا الصيام ، وحتى قريش كانت تصومُه في الجاهليّة .. بعد هذا الفهم نرى في صحيح البخاري ذاتِهِ رواياتٍ يُفهمُ منها أنّ عِلْمَ النبيِّ بصيامِ يومِ عاشوراء وأمرَه للمسلمين بصيامه ، إنّما كان بعد قدومه ﷺ إلى المدينة ، وبعدَ عِلْمِه بأنَّ اليهود يصومون هذا اليوم !!! ..

البخاري (٣١٥٤) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ عَنْ ابْنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَجَدَهُمْ يَصُومُونَ يَوْماً يَعْنِي عَاشُورَاءَ فَقَالُوا هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ فَصَامَ مُوسَى شُكْراً لِلَّهِ فَقَالَ أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ**

البخاري (١٨٦٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ **قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى**

الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى قَالَ فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ

.. العبارة الواردة في هذا الحديث : [[**فَقَالَ مَا هَذَا**]] تُصوِّرُ عدمَ عِلْمِ الرسول ﷺ بصيامِ هذا اليوم .. وبعدَ أنْ أُخبرَ بأنَّه يومٌ صالحٌ بعدَ ذلك صامَه وأمرَ بصيامِه كما تقولُ هذه الرواية دون أن نُضيفَ إليها معاني من جيوبنا : [[**فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ**]] ، وهذا يعني أنّه لم يكن ﷺ قد صامه قبل قدومه إلى المدينة ، وإلاّ لكان نصُّ الرواية : ((**فاستمرَّ على صيامِه وأمر بِصِيَامِهِ**)) .. ولننظر إلى النصِّ التالي المُقتطَع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري لنرى كيف تتمُّ عمليّةُ تبرير هذا التناقض :

[[..... ليس في الخبر أنه ابتدأ الأمر بصيامه ، بل في حديث عائشة التصريح بأنه كان يصومُه قبل ذلك ، فغاية ما في القصة أنه لم يحدث له بقول اليهود تجديدُ حكم ، وإنما هي صفةُ حال وجواب سؤال ، ولم تختلف الروايات عن ابن عباس في ذلك ، ولا مخالفة بينه وبين حديث عائشة " إن أهل الجاهلية كانوا يصومونه " كما تقدم إذ لا مانع من توارد الفريقين على صيامه مع اختلاف السبب في ذلك ، قال القرطبي : لعل قريشا كانوا يستندون في صومه إلى شرع من مضى كإبراهيم ، وصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون بحكم الموافقة لهم كما في الحج ، أو أذن الله له في صيامه على أنه فعل خير ، فلما هاجر ووجد اليهود يصومونه وسألهم وصامه وأمر بصيامه احتمل ذلك أن يكون ذلك استئلافاً لليهود كما استألفهم باستقبال قبلتهم ، ويحتمل غير ذلك . وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم فإنه كان يصومه قبل ذلك وكان ذلك في الوقت الذي يحب فيه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينه عنه .....]]

.. وهذا التأويل الذي لا وجود له في صياغة هذه الروايات ، لا من قريبٍ ولا من بعيد ، يظهر فسادُهُ عندما ننظر في الرواية التالية ، التي تنقضُ كُلَّ الروايات السابقة ..

مسلم (١٩١٦) :

و حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنِي إِسْمَعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا غَطَفَانَ بْنَ طَرِيفٍ الْمُرِّيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ **حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ قَالَ فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

.. العبارة الواردة في هذه الرواية : **[[حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ]]** ، بهذه الصياغة ، يُفهمُ منها أنَّ دلالات العبارة : **[[فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ]]** ، إنّما كانت حينَ صامَ النبيُّ ﷺ يومَ عاشوراء وأمرَ بصيامِه ، وهذا كان حسبَ الروايات السابقة حين قدوم النبيّ ﷺ إلى المدينة .. ولكن نُفاجأ بالعبارة : **[[قَالَ فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]]** ، التي يُفهمُ منها أنَّ أمْرَ النبيِّ ﷺ بصومِ عاشوراء إنّما كان قبل وفاته بفترةٍ لا تتجاوز العام الواحد ..

.. وفي هذه الرواية نرى أنَّ صوْمَ الرسول ﷺ ليوم عاشوراء وأمْرَه بصيامِه إنّما كان قبلَ عِلْمِه بتعظيم اليهود له : **[[حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى]]** ، بينما في الروايات السابقة رأينا عكسَ ذلك تماماً .. فقد رأينا كيف أنَّ الرسولَ ﷺ أمَر بصيامِه بعدَ عِلْمِه بصيام اليهود له ..

البخاري (١٨٦٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ **قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى**

الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى قَالَ فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ

.. وكنّا قد رأينا أنَّ ذلك قد أُوِّل بأنّه استثلافٌ لليهود .. وهنا يظهرُ التناقضُ واضحاً جليّاً لا يغيب إلاّ عمّن عميت بصيرتُه .. فوفق بعض الروايات نرى أنَّ الرسول ﷺ صام يومَ عاشوراء قبل أن يُتوفّى بعام ، ووفقَ بعضِها الآخر نرى أنَّ الأمرَ بصومِ يومِ عاشوراء إنّما كان حينما قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المدينةَ ورأى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وما بين دلالات هذه الروايات المتناقضة مُدّةٌ زمنيّةٌ تُقاربُ معظمَ لبثه ﷺ بالمدينة .. أليس هذا تناقضاً لا يقبلُهُ عقلٌ أو منطق ؟!!! ..

.. من جهةٍ أُخرى رأينا في بعضِ هذه الروايات أنَّ الرسولَ ﷺ قد تُوفي وحكمُ صومِ يومِ عاشوراء ما زالَ قائماً ، بدليل أنّه تُوفي ﷺ قبلَ أن يُتمَّ ما ألزم نفسه به وما أمرَ بفعله .. بعد أن نفهم ذلك ، نرى رواياتٍ أُخرى تُبيّنُ لنا أنّه لا أمرَ للنبيِّ ﷺ بصومِ يومِ عاشوراء ، فبعد فَرضِ صيامِ رمضان ، من شاء أن يصومَ يومَ عاشوراء فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتْرُكَهُ فَلْيَتْرُكْهُ ..

البخاري (١٤٨٩) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ح و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ هُوَ ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانُوا يَصُومُونَ عَاشُورَاءَ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ رَمَضَانُ وَكَانَ يَوْماً تُسْتَرُ فِيهِ الْكَعْبَةُ فَلَمَّا فَرَضَ اللَّهُ رَمَضَانَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ شَاءَ أَنْ يَصُومَهُ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتْرُكَهُ فَلْيَتْرُكْهُ

البخاري (٤١٤٣) :

حَدَّثَنِي مَحْمُودٌ أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَشْعَثُ وَهُوَ يَطْعَمُ فَقَالَ **الْيَوْمُ عَاشُورَاءُ فَقَالَ كَانَ يُصَامُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ رَمَضَانُ فَلَمَّا نَزَلَ رَمَضَانُ تُرِكَ فَادْنُ فَكُلْ**

.. لا يُمكننا أن نتخيّلَ توافقاً بين هذه الروايات إلاّ بعدَ أنْ نُطلِّقَ عقلَنا ، أو أن نتخيّلَ نزولَ فرضِ صيامِ شهرِ رمضان بعد وفاة النبي ﷺ ، وفي هذا الحال نكون أيضاً قد طلّقنا عقولَنا .. ثمّ كيف نُوفّقُ بين الرواية الأخيرة التي تُؤكّدُ أن فرضَ صيامِ يومِ عاشوراء قد انتهى بنزول فرضِ صيامِ رمضان ، وبين الرواية التالية :

البخاري (١٨٢٤) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ ذَكْوَانَ عَنْ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ **أَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِراً فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَصُمْ قَالَتْ فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا وَنَجْعَلُ لَهُمْ اللُّعْبَةَ مِنْ الْعِهْنِ فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ**

.. كيف بنا أنْ نفهمَ قولَ الراوي : **[[قَالَتْ فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا]]** .. فماذا تعني كلمةُ **[[بَعْدُ]]** .. وماذا نقول لمن يفهما على أنّها تعني بعدَ وفاة النبيّ ﷺ ؟!!! .. طبعاً تأويلُ هذه الرواية حسب منهج علم تأويل مختلف الحديث ، هذا التأويلُ يحتاجُ إلى إضافةِ عبارات من جيوبنا لنصِّ الرواية ..

.. والتناقضُ بين الروايات الخاصّة بهذه المسألة نرى شبيهاً له في الروايات الخاصّة بصيام تسع ذي الحجّة .. لننظر في الحديث التالي :

أبو داود (٢٠٨١) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ الْحُرِّ بْنِ الصَّبَّاحِ عَنْ هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ امْرَأَتِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ** وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنْ الشَّهْرِ وَالْخَمِيسَ

أحمد (٢٥٢٦٣) :

حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ حَدَّثَنَا الْحُرُّ بْنُ الصَّيَّاحِ عَنْ هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ امْرَأَتِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ** وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنْ الشَّهْرِ وَخَمِيسَيْنِ

.. وفق هذا الحديث كان الرسول ﷺ يصوم تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ .. لننظر الآن في الحديث التالي لنرى نقيضَ ذلك ..

سنن أبي داود (٢٠٨٣) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ **مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَائِماً الْعَشْرَ قَطُّ**

أحمد (٢٤٣٩٠) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَصُمْ الْعَشْرَ** قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَسْنَدَهُ أَبُو عَوَانَةَ عَنِ الْأَسْوَدِ

مسلم (٢٠١١) :

و حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ الْعَبْدِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَصُمْ الْعَشْرَ**

.. ولننظر في صحيح مسلم بشرح النووي لنرى التأويلات والتبريرات التي ما أنزلَ الله تعالى بها من سلطان :

[[..... وهذا مما يتأول فليس في صوم هذه التسعة كراهة ، بل هي مستحبة استحبابا شديداً لا سيما التاسع منها ، وهو يوم عرفة ، وقد سبقت الأحاديث في فضله ، وثبت في صحيح البخاري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل منه في هذه " – يعني : العشر الأوائل من ذي الحجة – . فيتأول

قولها : لم يصم العشر ، أنه لم يصمه لعارض مرض أو سفر أو غيرهما ، أو أنها لم تره صائما فيه ، ولا يلزم عن ذلك عدم صيامه في نفس الأمر .....]]

.. هل العبارة المنسوبة إلى عائشة في هذه الرواية : **[[أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَصُمْ الْعَشْرَ]]** ، وهل العبارة المنسوبة إلى عائشة : **[[مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَائِمًا الْعَشْرَ قَطُّ]]** ، هل هاتان العبارتان تحملان من قريبٍ أو بعيدٍ تأويلَهم : **[[أنه لم يصمه لعارض مرض أو سفر أو غيرهما]]** ؟!!! .. فهل كان الرسول ﷺ دائماً مريضاً أو مسافراً ؟!!! ..

.. وإذا كانت رواياتُ الأحاديث ناقصةً وبحاجةٍ لعباراتٍ نُكملُها من جيوبنا دون أيِّ تعلّق بصياغة تلك الروايات ، وإذا كانت المسألةُ التي نريدها ونضع لها عبارات من جيوبنا ، يتمُّ وضعها دون أيِّ تعلّقٍ بحيثيّات صياغة الرواية .. إذا كان ذلك .. فلماذا لا يحتملُ التأويل أوجهاً أُخرى قد تصلُ إلى نقيض ما يُؤوّلون ؟!!! .. ولماذا يُعطى تأويلُهم هذا قُدسيّةً موازيةً لقدسيّةِ المنهج ذاتِه ؟!!! .. فما دام ما نريده من أحكام نُفصِّل له عبارات من جيوبنا ونضيفه لنصِّ الرواية ، فما هي الحاجة للرواية ؟!!! ..

.. وهنا وعندَ هذه النقطة بالذات نُدركُ سبباً من أسباب تقديس رجالات التاريخ ، وذلك لإعطاءِ رواياتِهم وتأويلاتِهم وتفسيراتِهم بُعداً مُقدّساً يُمْنَعُ معه نقدُ هذه الروايات وهذه التأويلات والتفسيرات التي لا يقبلُها من يؤمن بقولِه تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦]

.. لا تُختَرَقُ الحُجُبُ إلاَّ بالغوْصِ عموديّاً باتّجاه جوْهرِ الحقيقة .. أمّا الدوران أُفقيّاً في مدارات الحقيقةِ دونَ الغوْصِ عموديّاً باتّجاه جوهرِها فلا يُفيدُ إلاَّ كمقدّمةٍ تهدفُ إلى تحديدِ النقطة المناسبة للغوصِ نحو الجوهر .. ولو عُدنا إلى مُعظمِ الدراسات المحسوبةِ على الفكر الإسلامي ، لرأيناها بالاتّجاه الأفقي الذي يدور في مدارات رواياتٍ تاريخيّةٍ متناقضة

، وأيُّ غَوْصٍ عموديٍّ باتّجاه استنباطِ الحقائق انطلاقاً من هذه الجزئيّات التاريخيّة لا يُؤدّي إلى أيِّ حقيقة يُمكنُ للأمّةِ أن تُجمعَ عليها .. وبالتالي نرى أنَّ الكثيرَ من جوانبِ الفِكْرِ التراثي الجمعي تجعلُ من القرآنِ الكريم عربةً تقودُها العواطفُ الهوجاء باتّجاه منحدرات العصبيّات التاريخيّة ، وبالتالي يتمُّ السيرُ في الزمن المادّي نحو الأمام وعيوننا متّجهةٌ نحو الخلف ، ويتوقّفُ الزمنُ الفِكريُّ للأمّةِ عند عتبةٍ فِكريّةٍ لا تتجاوزُ السقفَ الفكريَّ لمن وضعَ تلك الجزئيّات التاريخيّة ومعاييرَها ..

.. ولكن .. حينما نجعلُ القرآنَ الكريمَ معياراً للتاريخ برواياتِه ورجالاته وتفاسيره ، فحينَ ذلك نجعلُ القرآنَ الكريمَ هدفاً أمامنا ، نتّجه إليه بعقولِنا ، مدفوعينَ بقوّةِ البحث عن الحقيقة ، مُستنيرين بنورِ كتابِ الله تعالى ، وبالتالي نسيرُ في الزمن المادّي نحو الأمام وعيوننا متّجهةٌ نحو الأمام ، ولا يتوقّفُ الزمنُ الفِكريُّ للأمّةِ عند عتبةِ سقفٍ مُحدَّدٍ ، بل يكونُ السقفُ الفِكريُّ لكلِّ جيلٍ أعلى من أسقفِ جميعِ الأجيالِ السابقةِ له ..

المهندس عدنان الرفاعي